



The fundamentalist tendency in Abdelmalek boumengel's critical experiment

-The book procrastination of meaning in the poetry of Al-mutanabi (its patterns and extent)_ a model-



Received: 17/04/2024; Accepted: 18/03/2025

Amina BOUZID^{1*}, Dr. Souad TARCHAK²

¹ Mohamed Lemine Debaghine University Setif 1 - (Algeria), am.bouزيد@univ-setif2.dz .

² Mohamed Lemine Debaghine University Setif 1 - (Algeria), s.terrchag@niv_setif2.dz

النزعة التأصيلية في تجربة عبد الملك بومنجل النقدية - كتاب مماثلة المعنى في شعر المتنبي (أنماطها ومداه) أنموذجا-

الكلمات المفتاحية:

النقد؛ التأصيل؛
المعنى؛
المماثلة؛
عبد الملك بومنجل؛

ملخص

نحاول في هذا البحث تتبع مؤلف "مماثلة المعنى في شعر المتنبي (أنماطها ومداه)" أحد أهم المنجزات النقدية للناقد الجزائري عبد الملك بومنجل بُغية استخلاص السمات البارزة للنزعة التأصيلية في كتابه، والتي تعكس لنا اهتمامه بأصول المفاهيم والقضايا والنظريات، انطلاقا من التراث العربي في الرؤية النقدية لأحد أهم القضايا الشعرية.

Abstract

In this research, we attempt to trace the composition of "Procrastinating the Meaning in Al-Mutanabbi's Poetry (Its Patterns and Extent)," one of the most important critical achievements of the Algerian critic Abdelmalek Boumendjel, aiming to extract the prominent features of the originality tendency in his book. This reflects his interest in the origins of concepts, issues, and theories, stemming from the Arab heritage in the critical vision of one of the most significant poetic issues

Keywords:

Criticism;
Originality;
Meaning;
Procrastination;
Abdelmalek
Boumendjel.

* Corresponding author, e-mail: am.bouزيد@univ-setif2.dz

Doi:

I - مقدمة

إنّ أبرز المواضيع البحثية في الساحة النقدية اليوم تلك التي تمنح الموضوع مفارقة صارخة، أو بصورة أخرى تنظر للموضوع الواحد من زاوية جديدة لتضفي عليه عنصر التجديد وميزة التفرد، وفي الغالب حسن تطبيق المناهج الغربية المعاصرة على النصوص العربية.

فقلّما تجد ناقدًا معاصرًا مهتمًا بالتأصيل وطرح مواضيع التراث أو أن تلمح في كتاباته نزعة نقدية تأصيلية حتى عدّ المتبني لهذا مواضيع منفردًا باختلافه في ساحة نقدية تسير على منهج واحد حاملة لرؤى شبه متطابقة (وإن طغى على عناوينها التباين الشكلي).

وبناء على ما سبق ذكره ارتأينا أن نميط اللثام عن موضوع التأصيل في العمل النقدي المعاصر، معتمدين على قلم نقدي جزائري تمثّل في كتاب "مماطلة المعنى في شعر المتنبي (أنماطها ومداها)" لعبد الملك بومنجل.

كيف تمثّل بومنجل النزعة التأصيلية في كتاب "مماطلة المعنى في شعر المتنبي (أنماطها ومداها)" ؟ وما هي المواضيع التي برز فيها القلم التأصيلي في هذا الكتاب؟ وإلى أي مدى يمكننا القول أنّ الناقد ذو نزعة تأصيلية؟؟

للإجابة عن هذه الإشكالات وغيرها لابد لنا أولاً أن نُعرِّج على مسيرة مختصرة لصاحب الكتاب فمن هو عبد الملك بومنجل؟.

II - ترجمة عبد الملك بومنجل:

ناقد جزائري معاصر "من مواليد قرية أولاد شوق ولاية بجاية، ولد في 28 جانفي 1970 ميلادي مُتخصِّل على شهادة البكالوريا في الآداب سنة 1988م. أتمّ دراسته الجامعية في جامعة تيزي وزو بقسم اللغة العربية وآدابها بعدما نال درجة دكتوراه الدولة مطلع 2006م عن أطروحة بعنوان: "جدل الثابت والمتغيّر في النقد العربي الحديث". ليلتحق بالتدريس بجامعة سطيف أستاذًا مؤقتًا للسنة الجامعية 1995-1996م، ثمّ انتقل بعدها لجامعة بجاية، ليعود بعد سنوات إلى جامعة سطيف مرتقبا في الدرجات العلمية إلى غاية حصوله على رتبة أستاذ التعليم العالي أواخر 2011م".¹

للقائد عبد الملك العديد من المؤلفات بين نقد وأدب (شعرا ونثرا) فلم يقتصر على فنّ واحد في أعماله، وهو الأمر الذي شكّل شخصيته الفكرية ومنح كتاباته العديد من القراءات كما فتح مجالا زائرا للجانب النقدي من قلمه أن يتعرّض لنقد النقد اليوم، إذ ذكر الناقد في إحدى اللقاءات التي أفرد لها مؤلفه: "هذه تجربتي وهذه رؤيتي حوارات في الشعر والنقد والفكر" أنه أصدر عشر دراسات نقدية² ومن دون أدنى شكّ أنّ عددا كهذا له وزن لا يستهان به في النقد المعاصر اليوم، خاصة إن نحن سلطنا الضوء على طبيعة العناوين المدروسة والتي قلّما تتوجّه إليها الأقلام المعاصرة. هذا وقد امتزج القلم الناقد بالقلم الشاعر فنجد بومنجل الشاعر في عشرة دواوين، تحمل عناوينها تأويلات ذات منحنى فكري عميق، لا تقل أهمية عن عناوينه النقدية، إذ نلاحظ صورة بومنجل الناقد تتعكس في اختياراته للعناوين.

إنّ طبيعة المواضيع التي تناولها عبد الملك بومنجل من جهة، ومذهبه المصطلحي من جهة أخرى، يفتح لنا أفقا لا منتهية وي طرح إشكالات متعددة تدفعنا لدراسة حقيقة تبنيه للنزعة النقدية التأصيلية، فحملنا هذا التساؤل النقدي إلى سبر أغوار قلمه واستنطاق دلالة النصوص لديه من خلال مؤلف "مماطلة المعنى في شعر المتنبي (أنماطها ومداها)" وقبل ولوجنا لفحوى المؤلف لابد لنا من وقفة مع مصطلح التأصيل، فما مفهوم التأصيل في العمل النقدي؟.

III - مفهوم التأصيل:

1. لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور من مصدر "أصل" قوله: الأصل: أسفل كلّ شيءٍ وجمعه أصول لا يُكسر على غير ذلك، وهو البأصول. يُقال: أصلٌ مؤصلٌ؛ (..) وأصلُ الشيء: صارَ ذا أصل؛ قال أمية الهذلي: وما الشغل إلا أنني مُتهَيَّبٌ ... لعرضك، ما لم تجعل الشيء يأصل وأصل الشيء: قتله علما فعرف أصله³. فمدار الأصل في بداية الأشياء، وأسفلها وقاعدتها.

2. اصطلاحا:

عرف مصطلح التأصيل العديد من الشروحات والمفاهيم الدالة على ماهيته، استنادا إلى المجال البحثي المراد دراسته؛ وقد جاءت الدلالة الاصطلاحية للتأصيل في النقد العربي حاملة مفهوم المصطلح في طرح لا يتعد عن المعنى اللغوي في أغلب الأبحاث: "فالتأصيل بذلك إعادة الشيء إلى أصل، وقد يكون المؤصل مألوفا ولكن أصله غير مألوف؛ بمعنى أنه خاف على البعض، فيقوم الباحث باستكشاف أصله كالمفاهيم الشائعة المتصلة بأصول تراثية دون أن تكون تلك الأصول معروفة"⁴، وبعد البحث في القضايا والنظريات النقدية من بين أهم المفاهيم البحثية في الساحة العلمية منذ أول شرارة أوقدت وهج النقد في ذائقة العربي كفن علمي دقيق له مميزاته الخاصة. ليسعى بذلك إلى البحث في ماهية القضية النقدية، مُتنبِّعا أصلها الغائب عن المفهوم المعاصر له.

IV. النزعة التأصيلية في كتاب ملاحظة المعنى في شعر المتنبي.

يُعَدُّ البحث في التأليف النقدي المعاصر خطوة جادة لاستنطاق المزيد من النصوص وطرح مختلف القضايا المتجددة التي يعمل النقاد اليوم على دراسة أثرها في النص باختلاف أنواعه وأجناسه، "فلا شك أن القراءة والنقد حقلان نظريَّان مختلفان، وإن كان جامعهما هو النص الأدبي"⁵، هذا الأخير الذي لا يزال النقد يُساربه منذ العصر الجاهلي مُهتماً بالقضايا التي يُحرِّكها الإبداع وهو الأمر الذي أكدّه الناقد عبد الملك بومنجل في مؤلفه قيد الدراسة.

إنَّ أول ما يصادف المتلقي المعاصر لمؤلف "ملاحظة المعنى في شعر المتنبي" اصطلاح العتبة النصية في دلالتها النقدية التأصيلية، بداية من لفظ "الملاحظة" وهي الكلمة التي تحمل في طياتها مفهوماً قديماً بامتياز.

إنَّ الحديث عن الملاحظة في المعنى هو بصورة أولية حديث عن المعنى في الشعر العربي بصورة دقيقة، هذا الموضوع الذي لطالما خاض فيه النقد العربي قديماً، في فحوى نقاشه عن أنصاره من جهة، وأنصار اللفظ من جهة أخرى وإن "كانوا يرون أن لكل منهما دوراً مهماً في النص الشعري لا يمكن الاستغناء عنه"⁶

هذا ودَكَرَ ابن الأثير في المثل السائر إشارة إلى قول أبي إسحاق الصابي، في حديثه عن الفرق بين الكتابة والشعر لفظ الملاحظة وهو يقيم مبدأ المفاضلة بين المنظور والمنظوم فقال: "إنَّ طريق المنظور في إحسان الكلام يخالف طريق الإحسان في منظومه، (..) وأفخر الشعر ما غُمُضَ فلم يُعْطَ غرضه إلا بعد ملاحظة منه"⁷.

لقد أكد بومنجل أنَّ أبا إسحاق أول من استعمل مصطلح الملاحظة عرضاً في النقد العربي، فأراد له عبد الملك أن يستعمله تقصداً لقضية المعنى في الشعر فيمنحه بذلك هالة التجديد بعد ماهية التأصيل فقال: "اخترت مُصطلحاً قديماً في مفهومه جديداً في توظيفه؛ هو مصطلح ملاحظة المعنى"⁸.

ومن جهة أخرى تجد بومنجل يعمد إلى انتقاء شاعر منفرد بشعر ملء الدنيا وشغل النَّاس في عصره، بل وتعدى شُغله النَّاس إلى الأقاليم البحثية المعاصرة، فجاء الاصطفاء النقدي لأبي الطيب المتنبي لأنَّه -في رأي بومنجل- "أمثل من يمثل الشعرية العربية القديمة حتى تبلغ ذروتها"⁹.

وهنا يمكننا التأكيد على أنَّ ناقداً معاصراً مثل عبد الملك بومنجل لم يختَر هكذا عنواناً للدراسة اعتباطاً؛ وإنَّما تمثِّل مصطلحاً قديماً مع شاعر قديم في دراسة معاصرة، إشكال لن يُتوصَّل لتوضيح تساؤله وتقديم دلالاته النقدية إلا بعد التعمُّق في دراسة المؤلف، وهو الأمر الذي سعيْنَا إليه في ورقتنا البحثية هذه.

يُمثِّل كتاب "ملاحظة المعنى في شعر المتنبي" بحثاً معمقاً لأحد أبرز القضايا الكبرى في الساحة النقدية، ألا وهو: دراسة المعنى في الشعر، "ذلك أنَّ الاختلاف حول مفهوم المعنى، وتعدد زوايا النظر إليه، يؤدي بالضرورة إلى تعدد الإطلاقات، ولذلك وجدنا الدارسين والنقاد يُطلقون إطلاقات عديدة، ويقصدون بها المعنى"¹⁰ فموضوع المعنى بصورة عامة والمعنى الشعري خاصة موضوع دسم في طرحه، عرف العديد من الأبحاث والمفاهيم "فعلى الرغم من أنَّ "المعنى" كلمة يتواتر ورودها في العديد من الكتابات، لدى الكثير من أعلام النقد العربي، إلا أنَّها فيما يبدو لا تحتل مدلولاً واحداً"¹¹ وعلى هذا الأساس ذهب بومنجل لتتبَّع مشكلة المعنى أو ما يُعرف في النقد المعاصر بلُعبة المعنى، وذلك من خلال دراسة نقدية لأشهر شعراء العصر العباسي: أبو الطيب المتنبي.

1. بومنجل وقضية الملاحظة في النقد القديم

إنَّ المنطلق من عبارة بومنجل: "اخترت مصطلحاً قديماً في مفهومه جديداً في توظيفه هو مصطلح ملاحظة المعنى"¹² لا بد له أن يُصيب مقتل الحقيقة وجواب الإشكال البحثي قيد الدراسة، ذلك أنَّ العبارة في مجملها تؤكد للمتلقي مدى اعتماد بومنجل على مبدأ الأصالة وعمق عودته للتراث النقدي العربي في طروحاته وأبحاثه. من خلال استقراءه للتراث ورجوعه لأشهر النقاد القدامى (الصابي) مُتتبِّعاً آراءهم ومستأنساً بقيمة النقد القديم في بناء صرح التجديد والتجديد.

يُعَدُّ المنطلق الأول الذي اعتمده بومنجل في تعريف الصابي للشعر "وأفخر الشعر ما غُمُضَ فلم يُعْطَ غرضه إلا بعد ملاحظة منه"¹³، نقطة هامة تُوضِّح لنا -بشكل أو بآخر- امتداد المفهوم الاصطلاحي للغموض، إلى البعد التأصيلي في صورة من المراوغة النقدية (إنَّ أجاز لنا النقد تسميتها بذلك).

ذلك أنَّ الدلالة الدقيقة للملاحظة عند الصابي، تكمن في تحليلات مصطلح الغموض على المعنى الشامل للقضية، وإن لم يكن شاملاً فهو بصورة أو بأخرى يُمثِّل الحجر الأساس في زاوية التعريف الحديث للمصطلح. فلك أن تمنح المتلقي بمماثلتك المعنى الذي ترغب في إيصاله من باب الغموض في الطرح وله أن يراوغ التشكيل اللغوي (ما شئت له الدائقة النقدية ذلك) إلى أن يصل للهدف الأدق من معنى البيت الواحد من الشعر.

وهنا يتَّضح لنا تأكيد بومنجل على أنَّ لا مشاحة في أن نعزو الأسبقية في القضية للنقد القديم، وإن اختلفت في الضبط الاصطلاحي عن الوجه الحديث إلا أنَّ الدلالة في تصوُّره تصب في قالب واحد.

ثمَّ نجد الناقد ينتقل بنا لنقطة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها في دلالة مصطلح "الملاحظة" لمعنى القصيدة، هذا الأخير الذي يفتح لنا باباً من التأويل النقدي في وجوب وجود النية الشعرية في استجلاب مبدأ اللعب بالمعنى بين مدِّ المعنى وجزر القانون الشعري المتمثِّل في الوزن العروضي للبيت الواحد، والذي يستوجب على القارئ أن يُحسن التخلُّص من المعنى الواحد قبل تحوُّله لما يحمل المعنى الثاني في البيت الذي يليه.

ولعل النقطة الوحيدة التي اختلف فيها بومنجل مع طرح الصابي في عزو انقطاع وتر الدلالة بسبب انتهاء البيت الشعري الواحد، فقد أكد الصابي موقفه هذا في قوله: "فلما كان النفس لا يمتد في البيت الواحد بأكثر من مقدار عروضه وضربه، وكلاهما قليل، احتيج إلى أن يكون الفصل في المعنى، فاعتمد أن يلطف ويدق"¹⁴ غير أنَّ بومنجل عدَّ هذا

الرأي النقدي ضرباً من ضروب الكبوة التراثية في فهم القضية فعلى: "يُفسد الصابي فكرته الجميلة حين يعزو هذه المماثلة الناتجة عن الغموض إلى قيد الوزن وضيق مساحة البيت"¹⁵، مؤكداً على أن استئناف المعنى في كل بيت بسبب الوزن أحد الأسباب لا جُلّها. وهنا يبعث الناقد القصدي في المماثلة إلى طبيعة الشعر العربي ذاته، فالشاعر مهما كان أسلوبه في القرض، لا يمكنه أن يتجرد منه ليجمع بين الاضطرار العروضي في وزن البيت من جهة، وقصديته في طرح عنصر الغموض في لعبة المعنى.

ليؤكد لنا الناقد أن جُل فكرة المماثلة في المعنى مستوحاة من رأي الصابي النقدي، الذي لا يختلف في مذهبه عن الرأي المعتدل في النقد الحديث اليوم، ذلك الرأي الوسطي الذي لا يجعل من الغموض إغراقاً، فيحمله على وجه الرّص الدلالي للمعاني الكثيرة في البيت الواحد، بالفاظ مقحمة على القصيدة إقحاما يحمل على الإبهام لا الإفهام ويُفسي للحرمان من المعنى البليغ، فيقول: "الجميل في عبارة الصابي هو ربط الغموض بالمماثلة. هو جعل المماثلة هدفاً للغموض. هو ما تدلّ عليه العبارة من المدى الذي يجب أن يتجاوزه الغموض لكي يبقى في دائرة الفن، ومن الوضع الذي ينبغي أن يكون عليه اللعب حتى لا يخرج، مع كونه لعباً، عن دائرة الجد. هذه فكرة جوهرية وقانون أساس. عبّر عنها الصابي بهذه العبارة الموجزة، وعبّر عنها النظر النقدي الرزين قديمه والحديث"¹⁶.

ثم ينتقل بنا الناقد إلى موقف نقدي آخر تأصيلي في نزعتة حينما يستحضر لنا مذهب الأمدي من قضية المماثلة، ليؤكد للمتلقى ميوله التراثي حينما يعرض لنا موقف الأمدي الوسطي في هذه القضية، فقد أكد بومنجل أن أبا القاسم لم ينكر على الشاعر طريقه باب المماثلة وإنما أقرّها باعتدال، مع ميله الواضح للوضوح وتجنّب لعبة المعنى في شقّها الغامض والمتماهي في طي الإغراق والذي نلاحظه في آراءه النقدية في كتاب الموازنة بين الطائيين.

وإضافة إلى الأمدي ينتقل بنا عبد الملك بومنجل إلى النسق البلاغي النقدي مع عبد القاهر الجرجاني ورأيه من هذه القضية، فيؤكد على أسبقية الوصول إلى كنه المماثلة الدقيقة مع ما يطرحه الجرجاني في باب الغموض الشعري والفنية في القول، إذ يرجع القضية إلى المقصدية من الكلام الداهب شق المعنى من اللفظ، ومعنى المعنى من باب التصوير بجميع ضروبه، فلا تحصل جمالية المماثلة هنا إلا إن أجدت لعبة المعنى الشاق في نيله، الشيق في أخذه، شرط الابتعاد عن التكلف في القول والاعتراف في الوصف الذي لا فائدة منه إلا أن يُخرج القارئ من البلاغة إلى التعقيد الذي لا فنية فيه.

ليُرجح لنا بومنجل مرة أخرى موازنة موقفه مع الموقف التأصيلي في قضية المماثلة في المعنى الشعري، فيقف مع رأي عبد القاهر في جُل ما ذهب إليه في طروحاته التي لخصها قائلاً: "شرط الجمال والإمتاع والإبداع والمماثلة، إذاً، أن تبقى مماطلة، تأخراً في إنجاز الوعد، لا إخلافاً ومنعاً. وأن يكون الجهد الذي تفرضه المماثلة بقدر القيمة التي يتمتع بها الموعد. أما أن يؤرقك طلب المعنى ثم لا يروق لك، وأن يجهدك ثم لا يجدي عليك فهو مما لا يدخل في هذا الباب من الفن"¹⁷.

وهنا نلاحظ ظهور النزعة التأصيلية في التجربة النقدية عند بومنجل؛ إذ أن ما ذهب إليه في شرحه السابق لتحقيق لعبة المعنى في الشعر؛ يتقاطع مباشرة مع مذهب عبد القاهر الجرجاني في حديثه عم المعنى حين قال: "ومن المركز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وبالمزية أولى، فكان موقعه من النفس أجلاً وألطف، وكانت به أضنّ وأشغف"¹⁸.

فهنا يركّز الجرجاني على عنصر المماثلة المتمثل في التشويق والمجاهدة للوصول للمعنى الشعري الكامن في قضية الغموض كركيزة أولية تحفز المتلقي أكثر وتماطله إلى أن توصله للدلالة، لتصبح هذه المماثلة أحد أهم العناصر في بناء الصورة العامة لجمالية النص.

ولأنه "من شأن القراءة النقدية أن تورث الاستمرارية في الخلق حتى يسمح للنص بالانتشار عبر مجازاته المفتوحة"¹⁹، فقد عمل بومنجل على توخي هذه القراءة في التراث النقدي العربي، ومحاولة تبني جُل آراء النقاد القدامى التي وظّفها؛ سواء مع الصابي صاحب الفضل في المصطلح النقدي أو الأمدي في الموازنة، وكذا عبد القاهر الجرجاني ومذهبه من الغموض الشعري؛ توافق وبشكل واضح نزعة بومنجل في تجربته النقدية المُستلهمة من التأصيل والتراث. فالدارس لكتاب مماطلة المعنى في شعر المتنبي يلحظ أن المؤلف مُنساق لآراء التأصيليين في باب القضية محلّ الدراسة، فلا يذكر الرأي النقدي أو الشاهد إلا مؤكداً على صحته النقدية وحسن الأخذ به لرّجحانه دون غيره.

2. بومنجل والغموض الشعري في النقد الحديث:

ولعلّ النزعة التأصيلية عند عبد الملك بومنجل لا توضح بصورة كاملة (وإن كانت واضحة لأصحاب الفن) إلا حينما ينتقل لعرض مواقف المحدثين من النقاد.

إنّ لقضية المماثلة امتداداً تاريخياً إلى العصر الحديث، من خلال طروحات النقاد المختلفة. فعلى الرغم من أن القضية لم تحمل المصطلح ذاته في النقد الحديث إلا أنها لم تُغيّر جوهرها النقدي، فقد استبدل النقاد المحدثين مصطلح المماثلة بالعديد من المصطلحات، منها الغربي وآخر عربي بترادف متنوّع، فأطلقوا عليه "لعبة المعنى" تارة، وتارة "الغموض"؛ هذا الأخير الذي احتلّ مكانة هامة في الأبحاث الحديثة، فقد عرفت إشكالية الغموض أو الإغراب في الشعر الحديث اهتماماً بالغاً لدى العديد من النقاد. وهو الأمر الذي طرحه عبد الملك بومنجل في المؤلف، متناولاً آراء العديد من النقاد للقضية التي هي في كنهها ضرباً من ضروب الترادف الدلالي لقضية المماثلة ذات اللفظ التأصيلي القديم.

وهنا نجد بومنجل يعرض مختلف المواقف النقدية؛ مُستهلاً طرحه بالعقد، على اعتبار أنه رائد الفكرة الحديثة،

والذي يعتبر جوهر قضية المماثلة أمراً لا بد منه في الشعر لابسا اصطلاح الغموض. في تأكيد منه إلى الاعتدال في تبنيّه دون إفراط في التصوير أو تفريطاً فيه قصد إعطاء العبارة قدرها من الخيال والتخييل.

وهو الرأي الذي رُحِبَ به بومنجل ووصفه بالعمق والنضج لتوافقه بصورة أو بأخرى بالرأي النقدي التأصيلي للقضية فقال: "هذا تصوّر آخر، حديث، للمماثلة في المعنى وما يتصل بها من المسائل على قدر كبير من الوجهة والنضج والعمق. هو تصوّر أملاه الموقف النقدي المتزن النزيه ولم يملءه الموقف الإيديولوجي، لذلك جاء متماسكاً في بنيته قوياً في حجته مقروناً بأدلتها"²⁰.

3. بومنجل ولعبة المعنى في النقد المعاصر

لينتقل عبد الملك بومنجل من طرح الرأي الحديث إلى الرأي المعاصر في تسلسل تاريخي مُحْكَمٍ، يعرض من خلاله أبرز النقاد المعاصرين الذين كان لهم الأثر البالغ في تأطير وضبط القضية، وإعطائها بُعداً نقدياً مُعمّقاً يكشف كوامن المصطلح ويؤدي أثر الدلالة.

فيذكر بومنجل آراء محمد النويهي وقوله في هذا الباب، ذاهباً مذهبه في الطرح مؤكداً على أنّ النقد المعاصر (مع تبنيه لمبدأ الغموض في الشعر العربي) إلا أنه لم يقصد بهذا الغموض ذلك الأسلوب المغدق في الوصف والدلالة، المتكلف في أغلب الأحيان، المنزاح عن الاعتدال والوسطية فعلق عبد الملك عن النويهي قائلاً: "ولكنه لا يرى ذلك ذريعة لتعمد الغموض أو أن يتعجل الشعراء الصادقون التعبير عن تجاربهم"²¹.

فهنا نجد الناقد بومنجل يؤكد لنا المنهج المتبع في الكتاب والذي ينطلق فيه من النظرة التأصيلية القديمة إلى الحديثة فالمعاصرة، مكرّزا بدوره على الجانب التراثي من خلال عرض تحليلي للتصورات النقدية القديمة كبداية أولية لمعالجة مشكلة المعنى في الشعر.

هذا ونلاحظ اعتماد الناقد شاعراً كأبي الطيّب دليل واضح لميله نحو التراث الشعري كلبنة أساس تُمكنه من الخوض في لعبة المعنى.

4. بومنجل وقضية المماثلة عند المتنبي:

لقد نص الكتاب على دراسة مواقع المعاني الشعرية بين الوضوح والغموض، كما سلط الضوء على أشكال اللعب بالكلمات والعبارات والصور والألوان والحركات وذلك من خلال دراسة لعبة المعنى في الشعر العربي مع أنموذج قرض المتنبي، فجاء التحليل والشرح من طرف صاحب المؤلف من باب الشعر كما أكد: "باجتماع القضية النقدية الكبرى مع الشاعر العربي الكبير، يتاح لنا أن نحيب عن أسئلة النقد بأجوبة الشعر"²².

لقد أكد عبد الملك بومنجل أنّ أغلب نقاد العصر المعاصر أمثال عز الدين إسماعيل ومحمد الهادي الطرابلسي وصولاً لأحمد الشايب لم يطرح أيّاً منهم قضية الغموض في الشعر العربي إلا متبنياً مذهب الاعتدال مؤكداً على وجوب توخي الحذر النقدي في التعاطي مع النصوص بصورة الإغراق في المعنى والتماهي في الإبهام، والذي لا فائدة منه في خدمة النص أو النقد إلا أن يزيد فجوات إشكالاته التي لا يستطيع القارئ سدها ولا يرقى من خلالها الإبداع العربي مطلقاً.

هذا ونلاحظ اهتمام بومنجل بقضية المعنى في الشعر من حيث التأدية والحضور، ومن حيث التشكل والتلقي والتأثر، وذلك عن طريق التصور النقدي بين القديم والحديث لقضية المماثلة المتمثلة في جدلية الغموض والوضوح، البيان والإبهام، المماثلة والحرمان.

وهنا نجد عبد الملك يُركّز تطبيقاً على تحديد موضع المماثلة في قرض المتنبي من خلال تبين أنماطها ومستوياتها، بنياتها وتأثيرها، أبعاد دلالاتها وأثرها الجمالي المتمثل في سرّ التفرد والفنية، كل ذلك بُغية استقصاء المواضيع التي برزت فيها القضية.

نجد الناقد في أول فصول كتابه يعمد إلى الانتقال من المفهوم المجرد إلى التطبيقي على نماذج شعرية مختارة من ديوان المتنبي، محققاً بذلك التكامل بين التنظير والتطبيق، معبراً عن موقفه من قضية الغموض ك مطلب شعري ومبحث نقدي.

فسعى لتتبّع كل من المعجم والصياغة، الأمر الذي جعله يُسلط الضوء على شعر المتنبي من الناحية التركيبية للأبيات، فانتقل من المعجم العام الذي يقرض الشاعر في حقله مماتلاً ومشوّفاً المتلقي لاستنتاج كنه البيت الواحد، وفي مثل هذا المقام ما استحضره الناقد شاهداً على مذهبه مورداً قول أبي الطيّب:

كَأَنَّمَا اشْتَمَلَتْ نُوراً عَلَى قَبَسٍ

أَغْرَ حُلُوِّ مُمَرِّ لَيْلٍ شَرَسٍ

جَعِدَ سَرِيٍّ نَهٍ نَدْبٍ رَضٍ نَدَسٍ

مَنْ كُلِّ أَبْيَضٍ وَضَاحٍ عَمَامَتُهُ

دَانَ بَعِيدٍ مُحِبٍّ مَبْغُضٍ بَهْجٍ

نَدِ أَبِي غَرٍّ وَافٍ أَخِي ثَقَةٍ

لا نشك في أن القارئ المتذوق ستغمره النشوة بهذا التشكيل البديعي الطريف، وهذا الغناء الإيقاعي الرشيق، وهذا اللعب اللفظي الصياغي الجميل (..) وهو ما يعني أنّ المتنبي لم يخطئ الاختيار، وأنّ المتلقي سيزيد على لذة الاستمتاع بذلك اللعب الجميل لذة التعرف على ذلك اللفظ الجديد"²³.

كما أفرد بومنجل الفصل الثاني من مؤلفه لعنصر البلاغة العربية في شعر المتنبي من تمثيل واستعارة، وصولاً للكناية في الفصل الثالث. ولعلها أبرز المحطات التي عمد فيها الناقد للأسهاب في الشرح والاستشهاد الغزير الدال على عمق المآخذ وقوة التصوير عند المتنبي، الرأي الذي خلص إليه الناقد في تعليق له على بلاغة التصوير عند أبي الطيب:

القائد الأسد غزتها براثته	بمثله من عداه وهي أشبال
القاتل السيف في جسم القتل به	أغرّ حلو ممرّ لين شرس
ند أبي غرّ واف أخى ثقة	وللسيوف كما للناس آجال
تغير عنها على الغارات هيبته	وماله بأقاصي الأرض أهمال
له من الوحش ما اختارت أسننه	عير وهيق وخنساء وذئال

يجتمع في عدد متتابع من الأبيات حفل فني بهيج من الاستعارات البديعة، والصياغة المحكمة البارعة، تحدث باجتماعها نمطا من المماثلة غاية في الإثارة والغناء والحيوية²⁴. لقد شكّلت المماثلة صورتها الكاملة في التصوير البلاغي في مجمل الأبيات الشواهد من الكتاب محل الدراسة، فمثّلت بدورها عمق القضية في شعر أبي الطيب، وجدية تشكّلها في البيت الواحد إلى المقطوعات الطوال؛ مما أكد لنا وبصورة واضحة حقيقة النزعة التأصيلية في الكتاب والتي عمد بومنجل لتمثيلها في تحليلاته وشرحه للشواهد. ولأنّ "النص الشعري بوصفه كونا حيا، يزدهي بطريقته، ويأنس إلى هواه، ويرتدي التجدد، ويعاقر المغامرة"²⁵، فقد جاءت نصوص أبي الطيب في آخر فصول الكتاب مختزلة لما سبقها من طروحات في طرح تطبيقي لنماذج متكاملة في دراسة مماثلة المعنى الشعري عند المتنبي.

لقد أكد عبد الملك بومنجل في كل جزء من المؤلف نزعة التأصيلية من خلال الآراء التي اعتمدها لبناء رؤيته في القضية، فبين أنّ أغلب الآراء التي خاضت في القضية قديما وحديثا تصبّ في قالب نقدي واحد وإن تشاكلت المصطلحات من حيث البناء الشكلي أو الصياغة التركيبية، فعرف النقد المماثلة في المعنى قديما، والغموض الشعري أو لعبة المعنى في النقد الحديث والمعاصر منه.

V - الخاتمة:

- في نهاية ورقتنا البحثية خلصنا إلى النقاط التالية:
- يُعدّ أبو إسحاق الصابي أول من أشار لمصطلح المماثلة في الدرس النقدي.
 - ذهب عبد الملك بومنجل إلى تبني قضية المماثلة في المعنى بمفهومها النقدي القديم.
 - يعتبر بومنجل المماثلة في معنى الشعر قضية موازية للغموض في الشعر العربي الحديث والمعاصر.
 - يُمثّل عبد الملك بومنجل أحد أنصار مبدأ الغموض في الشعر العربي المعاصر بمفهومه المعتدل الوسطي دون إغراب أو إبهام.
 - أكد بومنجل أنّ المتنبي أجاد لعبة المعنى وذهب مذهب الصابي في مقولاته النقدية خاصة على مستوى التصوير الشعري.
 - يُشكّل كتاب "مماثلة المعنى في شعر المتنبي (أنماطها ومداها) نموذج معاصر للدراسات النقدية التأصيلية.

المراجع

1. عبد الملك بومنجل (2022)، هذه تجربتي وهذه رؤيتي حوارات في الشعر والنقد والفكر، دار خيال_الجزائر، دط.
2. ابن منظور(1414)، لسان العرب، دار صادر_بيروت، ط3، ج11.
3. ميجان الرويلي، سعد البازعي(2007)، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء_المغرب، ط5.
4. مصطفى شميعة(2013)، القراءة التأويلية للنص الشعري القديم بين أفق التعارض وأفق الاندماج، عالم الكتب الحديث_الأردن، ط1.
5. عبد الله محمد العضيبي(2013)، النقد عند الشعراء حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار الأمان_الرباط، ط1.
6. ابن الأثير(دت)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، بدوي صبانة، دار نهضة مصر_القاهرة، دط، ج4.
7. عبد الملك بومنجل(2010)، ملاحظة المعنى في شعر المتنبي (أنماطها ومداها)، عالم الكتب الحديث_إربد الأردن، ط1.
8. سعود الصاعدي(2013)، صناعة البيان بحث في الموازنة بين صور المعاني، نادي مكة الثقافي_السعودية، ط1، ص22/21.
9. أحمد سليم غانم(2006)، تداول المعاني بين الشعراء قراءة في النظرية النقدية عند العرب، المركز الثقافي العربي_الدار البيضاء_المغرب، ط1.
10. عبد القاهر الجرجاني(دت)، أسرار البلاغة، تعليق محمود محمد شاكر، دار المدني_القاهرة، دار المدني_جدة، دط.
11. عبد القادر فيدوح(2009)، إدارة التأويل ومدارج معنى الشعر، دار صفحات_سوريا دمشق، ط1.
12. عالي سرحان القرشي(2009)، تحولات النقد وحركية النص فكر ونقد، مؤسسة الانتشار العربي_بيروت لبنان، النادي الأدبي بحائل_السعودية، ط1.

الهوامش

- 1 انظر: عبد الملك بومنجل (2022)، هذه تجربتي وهذه رؤيتي حوارات في الشعر والنقد والفكر، دار خيال_الجزائر، دط، ص16/15.
- 2 المصدر نفسه، ص16.
- 3 ابن منظور(1414)، لسان العرب، دار صادر_بيروت، ط3، ج11، ص16.
- 4 ميجان الرويلي، سعد البازعي(2007)، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء_المغرب، ط5، ص82.
- 5 مصطفى شميعة(2013)، القراءة التأويلية للنص الشعري القديم بين أفق التعارض وأفق الاندماج، عالم الكتب الحديث_الأردن، ط1، ص59.
- 6 عبد الله محمد العضيبي(2013)، النقد عند الشعراء حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار الأمان_الرباط، ط1، ص326.
- 7 ابن الأثير(دت)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، بدوي صبانة، دار نهضة مصر_القاهرة، دط، ج4، ص7/6.
- 8 عبد الملك بومنجل(2010)، ملاحظة المعنى في شعر المتنبي (أنماطها ومداها)، عالم الكتب الحديث_إربد الأردن، ط1، ص2.
- 9 المصدر نفسه، ص1.
- 10 سعود الصاعدي(2013)، صناعة البيان بحث في الموازنة بين صور المعاني، نادي مكة الثقافي_السعودية، ط1، ص22/21.
- 11 أحمد سليم غانم(2006)، تداول المعاني بين الشعراء قراءة في النظرية النقدية عند العرب، المركز الثقافي العربي_الدار البيضاء_المغرب، ط1، ص9.
- 12 عبد الملك بومنجل: ملاحظة المعنى في شعر المتنبي(أنماطها ومداها)، ص2.

- 13 ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص7.
- 14 المرجع نفسه، ص7.
- 15 عبد الملك بومنجل: مماثلة المعنى في شعر المتنبي (أنماطها ومداها)، ص9.
- 16 المصدر نفسه، ص10.
- 17 المصدر نفسه، ص15.
- 18 عبد القاهر الجرجاني(دت)، أسرار البلاغة، تعليق محمود محمد شاكر، دار المدني_القاهرة، دار المدني_جدة، دط، ص139.
- 19 عبد القادر فيدوح(2009)، إدارة التأويل ومدارج معنى الشعر، دار صفحات_سوريا دمشق، ط1، ص90.
- 20 عبد الملك بومنجل: مماثلة المعنى في شعر المتنبي(أنماطها ومداها)، ص20.
- 21 المصدر نفسه، ص21.
- 22 المصدر نفسه، ص2.
- 23 المصدر السابق، ص38/37.
- 24 عبد الملك بومنجل: مماثلة المعنى في شعر المتنبي(أنماطها ومداها)، ص114/112.
- 25 عالي سرحان القرشي(2009)، تحولات النقد وحركية النص فكر ونقد، مؤسسة الانتشار العربي _بيروت لبنان، النادي الأدبي بحائل_السعودية، ط1، ص251.